أخبار أوغاريت في مراسلات العمارنة

الأستاذ الدكتور فاروق إسماعيل

قسم التاريخ

جامعة حلب

مدخل:

تعدّ الرسائل التي كشف عنها موقع تل العمارنة (أخيتاتون) شمالي أسيوط بمصر – منذ سنة ١٨٨٧م– أهم مصادر تاريخ بلاد الشام عامة خلال القرن الرابع عشر ق.م.

إنها رسائل تبادلها عدد من الملوك البابليين والآشوريين والميتانيين والحثيين، ومجموعة من ملوك مدن الشام وحكامها – ولاسيما في المناطق الساحلية – مع الفراعنة حكام مصر خلال الفترة التاريخية التي صارت تعرف نسبة إليه بفترة العمارنة، وتمتد بين نحو ١٣٦١/ ١٣٦٠–١١٣٣١ق.م[١].

يبلغ عدد الرسائل المعروفة حتى الآن (٣٥٠) رسالة، وقد حررت باللغة الأكدية (اللهجة البابلية الوسيطة) عدا رسالة واحدة باللهجة الآشورية (EA 15)، وأخرى باللغة الحورية – الميتانية (EA 24)، واثنتان باللغة الحثية (EA 31, 32). وتظهر في لغتها مظاهر لغوية خاصة تعكس تأثيرها باللغة الحورية المستخدمة في مملكة ميتاني، وبلغات بلاد كنعان في سواحل بلاد الشام[٢].

وتعبّر الرسائل – من حيث مضمونها – عن الأوضاع السياسية العامة في الشرق القديم، ومواقف الحكام بلاد الشام وطبيعة علاقتهم بفراعنة مصر، وتبيّن حدود التأثير السياسي المصري والتحالفات المعقودة بهدف مواجهة الأخطار الحثية التي كانت تحدث في شمالي سورية. كما أنها تصور انقسام إمارات بلاد الشام في ولائها وتبعيتها للقوى السياسية الرئيسة (مصر، المملكة الحثية، المملكة الميتانية) وصراعاتها الداخلية الناجمة عن ذلك، مما جعل الوضع السياسي العام مضطرباً متوتراً أثر في مجرى التطور الحضاري العام، ومنع قيام وحدة سياسية بين الكيانات السياسية الصغيرة، بل فرض على الحكام في مدن بلاد الشام أن يبحث كل منهم عن مصلحته ويسعى إلى الحفاظ على حكمه وضمان استمراريته.

وكانت أوغاريت (رأس الشمرا، شمالي اللاذقية) آنذاك مملكة صغيرة قائمة في أقصى المناطق الشمالية الساحلية الخاضعة لنفوذ مصري، وتسعى – مثل غيرها – إلى ضمان مصالحها التجارية كأبرز مرافئ المنطقة، وإلى المحافظة على كيانها السياسي المتاخم لمناطق النفوذ الحثي في الشمال ولمنطقة الصراع الحثي – الميتاني في جهة الشرق.

وفي هذه الفترة كان الحوريون والميتانيون قد أسسوا معاً مملكة ميتاني في الجزيرة السورية، ومدوا نفوذهم غرباً في مناطق شمالي سورية، ونتج عن ذلك دخولهم في صراع مع الحثيين حول أحقية السيادة في المناطق الواقعة بين نهر الفرات والبحر الأبيض المتوسط. ويبدو أن الحوريين نجحوا (نحو ١٤٧٠ ق.م)، في فرض سيادتهم على حلب ونيّا (منطقة سهل الغاب)، وموكيش (ألالاخ ومناطق أعالي العاصي حتى شواطئ البحر). وكانت إمارات (أو دويلات) سورية الوسطى والجنوبية منقسمة في ولائها للممالك الكبرى المحيطة بها (الميتانية، الحثية، المصرية).

لم تذكر أوغاريت في تقارير الملوك المصريين عن حملاتهم إلى سورية آنذاك، ولكنها كانت في الراجح خاضعة للمراقبة المصرية. ثم جاء ذكرها – لأول مرة – ضمن

تقرير عن أحداث السنة السابعة من عهد الفرعون أمنوفس الثاني (١٤٢٨-١٤٠٠ق.م)[٣]. وفي هذه الفترة كان قد اعتلى عرش ميتاني الملك شوستر (نحو ١٤٢٠-١٤٠٠ ق.م)، وازدهرت مملكته وقويت، حيث احتل آشور، وعقد معاهدة تحالف مع مصر، واستقر في مناطق الألاخ، كما شمل أوغاريت أيضاً[٤].

في مطلع القرن الرابع عشر قبل الميلاد، استمر الصراع بين مملكتي ميتاني ومصر حول السيادة على سورية، ثم توقف بعد المصاهرة والتفاهم بين أرتتما الأول (١٤٠٠-١٣٨٠ ق. م) وتحوتمس الرابع (١٤٠٠-١٣٩٠ق.م). ويبدو من رسالة كتبت بعد عهديهما وتضمنت استرجاعاً لأنهار قديمة أنه تم تنظيم حدود النفوذ بينهما، وصارت أوغاريت ومعظم المناطق الساحلية ضمن نطاق النفوذ المصري.

صارت أوغاريت في القرن الرابع عشر ق. م. مملكة مستقلة تماماً، وحكمها أمّيس المرّو(الأول) الذي عاصر الفرعون أمنوفس الثالث (١٣٩٠-١٣٥٢ق.م)، وارتبط به برابطة الولاء والصداقة. كما استطاع إرضاء الحثيين في الوقت ذاته، وهي سياسة برع فيها ملوك أوغاريت في الفترة التاريخية التالية ومن ثم وقفوا في الحفاظ على الكيان السياسي لمملكتهم وسط الصراع المصري - الحثي المتزايد خلال "فترة العمارنة".

رسائل أوغاريت إلى العمارنة:

أشرنا إلى أن أوغاريت مرت بعلاقات حسنة مع مصر خلال فترة العمارنة (١٣٦١-١٣٣١ق.م)، وقد تضمنت مراسلات العمارنة خمس رسائل مرسلة من أوغاريت إلى العمارنة في مصر، وهي الرسائل الآتية:

١- العمارنة ٤٥[٥]:

رسالة من أميس تمرو (الأول) ملك أوغاريت إلى الفرعون أمنوفس الثالث. يقول له فيها ما يأتي:

قل للملك، الشمس، سيدي· (هذه) رسالة أميس تمرو خادمك:

على قدميك أجثو سبعاً ثم سبع مرات· ليت كل شيء يكون سليماً لدى الملك، الشمس، سيدي؛ أسرتك، زوجتك الرئيسة، زوجاتك الأخريات، أبنائك، رماة السهام لديك، وكل ما يخص الملك، الشمس، سيدي· ليت كل شيء يكون خير جداً جداً·

..... وأنا قلت ما يأتي: "هؤلاء الرجال مصريون– فلماذا يتوجب عليّ أن أسلمهم لك؟" سأجهز.... وهو سوف يمتلك..... أنا أسلمهم إلى الشمس، سيدي وأرسل رسولي إلى الشمس، سيدي، بسرعة· ها أنذا الآن أسلمهم إلى الشمس، سيدي·

أمر ثانٍ؛ ملك كتب يقول: " لماذا وهل تحجز.....؟" ومرة ثانية كتب إلي، وقال ما يأتي: "..... وإلى مصر ... إن ترسل..... فسوف.....". أنا خادم الشمس، سيدي، حقاً·

أمر آخر؛ السماء تمنع أن تعود الشمس، سيدي، ضدي· ليته يرسل إلى حياة روحي، وليت فمه ينطق بحياة روحي، وليت الشمس، سيدي يعلم: إن إلى أوغاريت

(يلي ذلك أكثر من عشرة سطور مهشمة، لن يبق منها سوى آثار علامات متفرقة)·

يبدو أن الرسالة أرسلت مع رسالة أوغاريتي إلى البلاط المصري، واستهدفت ثلاثة أمور، هي:

أ– تسليم رجال مصريين اعتقلوا في أوغاريت لأسباب مجهولة·

ب– أمر غير واضح بسبب وجود نواقص مهمة في النص، وربما يكون متعلقاً بتحريض أحد الملوك المجاورين لملك أوغاريت على الإهمال المصري له·

ج– مناشدة الفرعون بأن يعزز موقفه من ملك أوغاريت الوفي المخلص له·

والرسالة بشكل عام تؤكد صلة الولاء والتحالف بين أوغاريت ومصر· وربما كانت هناك أمور أخرى في الجزء المهشم منها·

٢- **العمارنة ٤٦**[٦]:

رسالة يرجح الباحثون أنها مرسلة من أميس تمرو (الأول) إلى الفرعون أمنوفس الثالث أيضاً، وقد وصلت إلينا في حالة مهشمة لدرجة يصعب تقديم مترابطة لها. ويتضح من بعض كلماتها أنها تعبر عن إخلاص الملك الأوغاريتي لمصر.

٢- **العمارنة ٤٧**[٧]:

مطلع الرسالة مفقود، ولذلك غاب عنا اسم مرسل الرسالة، ولكنها تعود - على الأرجح- إلى أميس تمرو (الأول) أيضاً. جاء فيها ما يأتي:

..... أسلافي خدموا لدى أسلافك، والآن أنا أيضاً خادم لدى الملك، الشمس، سيدي حقاً.

إضافة إلى ذلك؛ أرسلتُ رسولي إلى سيدي، ولكن سيدي لم يستفسر منه! ولكل رسل الملوك الآخرين أعطيت رقميك؛ ورحت ترسلهم، وترسل إليهم رسلك الخاصين أيضاً. ولكن إلي وإلى رسلي لم تعطِ رقيمك ولم ترسل إلي رسولك الخاص. هل أُعامل بشكل يتناسب مع وفاء قلبي؟!

أمر ثانٍ؛ لماذا تصغي إلى جميع كلمات خاتيا؟..... حدث أحداً قادراً.....

إنها في جزئها الأخير رسالة عتاب، لأن الفرعون لم يبالِ برسل الملك الأوغاريتي في بلاطه، ولم يحملهم رسالة إليه، بل ولم يرسل إليه - كغيره من حكام المنطقة- رسولاً خاصاً يفيده بتوجيهاته. وقد لقي ذلك استغراب الملك الأوغاريتي الواثق من وفائه له!

ويبدو أن ملك أوغاريت شك في وشاية ما قام به خاتيا المعروف في رسالتين أخريتين[٨] كرسول ملكي مصري، أوفد مرة إلى زعيم إحدى القبائل الفلسطينية

(EA 301)، وأخذ منه (٥٠٠) ثور و (٢٠) فتاة، وأوفد مرة أخرى إلى حاكم غـزة لاقتناء نادلات جميلات (EA 369)، ووصف آنذاك بالمراقب العام لكتائب النبالين.

٤- العمارنة ٤٨[١٠]:

رسالة من خبا إلى زوجة الفرعون المصري. والراجح أن المرسلة هي بـودو – خبا إحدى زوجات الملك الأوغاريتي نقم أدّو (الثاني)، أنما الملكة المصـرية فيـري ليفراني Liverani أنها

إحدى زوجات الفرعون أمنوفس الرابع (أخناتون) (١٣٥٢-١٣٣٦ق.م).

جاء في الرسالة ما يأتي:

إلى سيدتي (هذه) رسالة خبا خادمتك. أجثو على قدمي سيدتي. ليـت كـل شيء لدى سيدتي يكون بخير.

لقد أعطيت خادمتك..... وها أنذا أرسل إلى سيدتي مع هذا (الرقيم) وجرة من (عطر) البلسم.

تبدو الرسالة نادرة من حيث ما جاء فيها من تبادل الهدايا الخاصة بين الملكات آنذاك، ومن ثم فهي تدلل على علاقات وثيقة بين المملكتين.

٥- العمارنة ٤٩[١١]:

رسالة من نقم أدّو (الثاني) ملك أوغاريت إلى الفرعون أمنوفس الرابع، جاء فيها مـا يأتي:

إلى الملك، الشمس، سيدي. (هذه) رسالة نقم أدّو خادمك:

أجثوا على قدمي الملك، الشمس، سيدي، ليت كل شيء يكـون بخيـر لـدى الملـك، الشمس، سيدي، ولدى أسرته، وزوجته الرئيسـة، وزوجاتـه الأخريـات، وأبنائـه، والنبالين، وكل شيء آخر يعود إلى الملك، الشمس، سيدي.....

..... سابقاً أعطى..... إلى بيت أبي. ليت سيدي يعطيني مرافقين خادمين اثنين؛ خادمين للقصر الملكي يكونان من بلاد كوش. واعطني طبيباً يعمل في القصر الملكي، فهنا لا يوجد طبيب.

انظر! لتسأل خَرَمّسّا (عن ذلك). ومع هذا (القيم) أرسل كهدية تحية..... ومئة

لا تختلف الصيغ التعبيرية في مقدمة الرسالة عما ورد في مطلع رسائل أميس تمرو (الأول). أما من حيث المضمون فالرسالة تشير إلى أن بلاد كوش (مناطق النوبة في جنوبي مصر) كانت موطناً لخدم ثقاة مرغوب فيهم ضمن القصور الملكية، وإلى تطور مصر وشهرتها في مجال الطب، وهي حقيقة تدل عليها وثائق كتابية مصرية كثيرة؛ أشهرها بردية هيرست وبردية إيبر الطبيتان وقوائم في علم التشريح وغيرها[١٢]م.

أخبار متفرقة عن أوغاريت رسائل العمارنة:

إضافة إلى ما سبق؛ ثمة خمس رسائل أخرى تذكر أوغاريت ضمن سياقات مختلفة. ففي الرسالة (EA 1)[١٣]، يرد ذكرها بشكل عابر، وهي رسالة مطولة من الفرعون أمنوفس الثالث إلى الملك الكاشي كدشمان إنليل (الأول) ملك بلاد كردونياش (بابل) (١٣٧٤-١٣٦٠ق.م).

يرد فيها الفرعون على طلبه إحدى بناته زوجة له، وعلى قلقه بشأن مصير أخته، زوجة الفرعون التي ما عادت في البلاد المصرية، حسب ما أعلمه رسله إلى مصر.

يعلل الفرعون ذلك بأن رسله تافهون غير صادقين، لا أحد منهم ميزها، ولذلك ينصحه بإرسال أحد وجهائه المحترمين القادرين على تمييزها ونقل حقيقة أوضاعها الحسنة. وتكرر الرسالة ما كان الملك الكاشي قد كتبه إلى الفرعون: "ربما كانت(المرأة) التي

رآها أحد رسلي ابنة رجل فقير، أو ابنة أحد الكشكيين، أو ابنة أحد (رعايا) مملكة خاني حَلْبَت، أو ابنة أحد (رعايا) أوغاريت!؟

لقد أراد بذلك التعبير عن أقاليم مختلفة، فالكشكيون كانوا يقيمون في أقصى شمالي بلاد الأناضول (في سواحل البحر الأسود الجنوبية)، وخاني جلبت هي المناطق الحورية الشمالية في أعالي نهري الفرات ودجلة، وأوغاريت تمثل مناطق شمالي الساحل المتوسطي.

وفي الرسالة (EA 89)[١٤]، نقرأ التأكيد على عظمة القصر الملكي في أوغاريت، وعدم وجود مثيل له؛ على الأقل في المناطق الساحلية، إنها رسالة مرسلة من حاكم جبلا (جبيل) ونبه فيها الفرعون إلى الوضع الخطير في صورّو (صور)؛ حيث حصل فيها تمرد أدى إلى قتل حاكمها وزوجته وأولادهما. ويغري الفرعون بالتدخل قائلاً: ألم يسأل الملك عن حاكم صورو! وهو عظيم بثرواته (الضخمة) كالبحر. انظر! ليس هناك مقر حكم يماثل مقر الحكم في صورو، إنه كالقصر الملكي في أوغاريت.

أما الرسالة (EA 98)[١٥]، فهي موجهة من يَفَخ هدّا حاكم بيروت إلى يَنْجم المراقب المصري العام. يعاتبه في مطلعها بقوله: لماذا تهمل مدينة صُمُر (تل الكزل، جنوبي طرطوس). حتى أن كل البلدان من جبلا إلى أوغاريت صارت معادية لها في ظل حكم (حاكمها) أزيرو!

وهو يريد بذلك التعبير عن أن مناطق جنوبي صمر مركز إدارة إمارة أمورو حتى جبلا، ومناطق شمالي صمر حتى أوغاريت صارت معادية لها بسبب سوء تصرفات حاكمها. وفي ذلك إشارة إلى القوى الأساسية الثالث في الجزء الشمالي من سواحل البحر المتوسط.

وتشير الرسالة (EA 126)[١٧]، إلى أن مملكة أوغاريت كانت مصدراً أساسياً لأنواع الخشب، فقد كتب حاكم جبلا إلى الفرعون يعلمه بأنه حقق طلبه وأمن الخشب

من بلاد سُلخي ومن أوغاريت، ولكنه غير قادر على إرسال سفنه إلى هنـــاك بســـبب الحرب بينه وبين أزيرو حاكم بلاد أمورو الفاصلة بينه وبين أوغاريت.

وأخيراً في الرسالة (EA 151)[١٨]، نقرأ تقريراً شاملاً عن بلاد كنعان أرسله أبـــي ملكو حاكم صورو إلى الفرعون، يصف له فيها سوء الأوضاع المعيشية في مدينتـــه: "إننا نقيم على البحر، ولكن لا ماء لدينا ولا خشب؛ ويقول له: لقد كتب الملك ســيدي إلي قائلاً: اكتب لي عما سمعته من بلاد كنعان. أقول: لقد مات ملك دانونـــا، وصـــار أخوه ملكاً بعد موته، وبلاده تشهد السلام، والنيران التهمـــت القصـــر الملكـــي فـــي أوغاريت، تهدم نصفه، ونصفه زال.

إن القصر الملكي هو القصر الكبير الواقع في الجزء الجنوبي الغربـــي مـــن مدينـــة أوغاريت، بين القصرين الشمالي والجنوبي. وقد حصل الدمار الجزئي المذكور خلال حكم نقم أدّو (الثاني) الذي أرسل الرسالة (EA 49)، التي مرت بنا ســـابقاً – إلـــى الفرعون أمنوفس الرابع؛ أي في مطلع النصف الثاني من القرن الرابع عشـــر ق. م. وهو حدث لا نعرف تفصيلاته، والراجح أنه كان نتيجـــة كارثـــة طبيعيـــة لا عمـــل عسكري، لأن المصادر الكتابية تخلوا من إشارات إلى حروب مدمرة في أوغاريـــت آنذاك.

الخاتمة:

نتبيّن مما سبق أن وجود مملكة أوغاريت ارتـــبط بأهميتهـــا الاقتصـــادية وعلاقاتهـــا الواسعة، وبمينائها الذي التقى فيه تجار مناطق الشرق القديم المختلفة.

لقد خضعت أوغاريت للمراقبة المصرية زمناً طويلاً، ولكنه كان خضوعاً اسمياً شكلياً يضمن استمرار العلاقات الاقتصادية ذات المنفعة المتبادلة. وكان ذلك يثير الحثيـــين بين فترة وأخرى، فيقومون بحملات إلى سورية الشمالية والداخلية، وتشعر أوغاريت

بالخطر فيتصرف ملوكها بدبلوماسية ناجحة معهم، حيث يجزلون لهم العطايا والضرائب لاتقاء شرهم.

لقد وفق ملوك أوغاريت في المحافظة على العلاقات الحسنة مع مصر، وسد أفواه الحثيين ورسائل العمارنة التي عرضناها توضح الإطار السياسي المستقل ضمن إطار العلاقات المتميزة مع مصر أما علاقاتها مع المملكة الحثية فتنعكس بشكل واضح في المصادر الكتابية الحثية والأوغاريتية.

الهوامش

(١) بدأ نشر رسائل العمارنة منذ ١٨٨٩-١٨٩٠، وصدرت عدة ترجمات لها آخرها ترجمة موران إلى اللغة الفرنسية (١٩٨٧) ثم إلى الإنكليزية(١٩٩٢)؛ وهي ترجمة كاملة دقيقة استفادت من جهود البحثين السابقين كلهم. راجع:
William L. Moran: les Lettres d' El – Amarna. Paris, 1987, The Amarna Lettres. The John Hopkins University press. Baltimore and London 1992

(٢) William L. Moran: the Amarna.....P. XVIII. Franz M. Th. Booehl: Die Sprache der Amarnabriefe, LSS V/2, Leipzig 1909.

وثمة عدد من البحوث التي درست المظاهر اللغوية في مجموعات من رسائل العمارنة التي تنتمي إلى إطار جغرافي معين؛ مثل أكدية بلاد أمورو، لهجة جبيل، أكدية رسائل الملك الميتاني تشرتا.

(٣) راجع: د. أحمد أرحيم هبو: **تاريخ الشرق القديم** (٣) مصر، دار الحكمة اليمانية، صنعاء ١٩٩٥، ص ١٦٣.

(٤) راجع سلسلة أعداد أرشيف ماري الملكي Archives Royales de Mari

(٥) راجع: D.J. Wisman: The Alalkh Tablets. London 1953.

(٦) Ibid

(٧) H. Klengel: Geschichte Cyriens im 2. Jahrtausend vu. Teil 2 Akademie- Verlag Berlin 1969 , 329.

(٨) جرنوت فيلهم: **الحوريون تاريخهم وحضارتهم**. تر: د. فاروق إسماعيل. دال جدل، حلب، ٢٠٠٠، ص ٦٢.

(٩) William L. Moran: The Amarna.....p. 177

(١٠) Ibid. p. 118

(١١) Ibid. p. 119

(١٢) Ibid. p. 342,366

(١٣) Ibid. p. 120

(١٤) M. Liveranni: storia di Ugarit. Studi Semitici 6, Rome , 1962, 51 ff

(١٥) Ibid. p. 120

(١٦) E. Edel: Aegyptische Aertzte und aegyptische Medizin am hethitischen Koenigshof: Neue funde von keikschriftbriefen Ramses II aus Bogazkoey.

(١٧) William L. Moran: The Amarna.....p. 1

(١٨) Ibid. p. 162

(١٩) Ibid. p. 171

(٢٠) Ibid. p. 205

(٢١) Ibid. p. 238